الباب الثالث

النبوءات

إن المستقبل مجهول للإنسان، وكل ما يستطيع أن يتصوره الإنسان بالنسبة للمستقبل هو من باب التوقعات التى تعتمد على المقدمات المؤدية للنتائج، وحتى فى هذه فمهما أوتى الإنسان من صدق الحدس، وقوة الادراك، فان كلامه يبقى من باب التوقعات التى يمكن ألا تقع ، أما فى حالة عدم وجود المقدمات التى تؤدى الى النتائج. فالمسألة تبقى من باب التخرصات أو التوهمات، ووقوعها فى هذه الحالة من قبيل المصادفات، وعدم وقوعها هو الأصل، لقد تنبأ اليهودى الشيوعى الخبيث «ماركس» أن الثورة الشيوعية ستكون فى ألمانيا وانجلترا، وكان يستبعد أن تقوم فى روسيا فكانت فى روسيا لملابسات خاصة ولم تكن فى ألمانيا وانجلترا.

فإذا ما وجدنا ظاهرة عند انسان، هذه الظاهرة هى انه تحدث عن المستقبل حديثا ما خرمه المستقبل، ولا فى جزء من أجزائه، فنحن إذن أمام ظاهرة تحتاج الى تحليل وتعليل، وليس كلامنا هنا إلا فى حالة التصديق الكامل من الواقع للنبوءة الثابتة، فليس كلامنا إذن فى التوقعات، وليس كلامنا فى التكهنات الكهنية التى يكذب الواقع عشرات منها، وليس كلامنا فى النبوءات المدعاة التى يدعى أنها قيلت قبل وقوع مضمونها. والحقيقة أنها قيلت بعده، وليس كلامنا فى أمر بيت فتنبأ بوقوعه بعض من بيته، وليس كلامنا فى إنسان تحققت بعض نبوءاته وكذب الواقع بعضها، وليس كلامنا فى نبوءة كانت عن رؤيا منام أو ما يشبه رؤيا منام، وليس كلامنا فى نبوءة صدرت عن تابع نبى صديق فكانت كرامة له باتباعه لهذا النبى.

وإنما كلامنا فى إخبار عن المستقبل المجهول، عن رجل يقول عن نفسه إنه رسول، ويتحقق هذا المستقبل تحققا تاما لا يخرم منه شئ. فتلك إذن نبوة لا شك فيها واتصال بالله عالم الغيب والشهادة لا شك فيه.

هكذا يذكرون عن التوراة وهكذا ذكر القرآن ، يقول الله فى القرآن :

﴿ عَالِمُ الغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً * إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ ﴾

[الجن: ٢٦-٢٧]

ويذكرون عن التوراة: «فإن أحببت وقلت فى قلبك كيف استطيع أن أميز الكلام الذى لم يتكلم به الرب فهذه تكون لك آية أن ما قاله ذلك النبى باسم الرب ولم يحدث فهذا الرب لم يكن تكلم به بل ذلك النبى صوره فى تعظيم نفسه ولذلك لا تخشاه» . الباب الثامن عشر من كتاب الاستثناء: التثنية: ٢٢ .

وهذه نبوءات تحدث بها السيد الرسول محمد ﷺ تجعلك على مثل الشمس مبصرة. أن محمدا رسول الله ﷺ وأنه لا ينطق عن الهوى والذى نعرضه هنا فى هذا الباب قليل من كثير نجتزئ به حتى يأخذ الانسان صورة واضحة المعالم عن هذا الموضوع ومن اراد التوسع فعليه بالكتب التى استقصت هذه الأبحاث، وسترى فى الأمثلة التى سنذكرها نبوءات عن حوادث معينة لأشخاص معينين ونبوءات وقعت قديما وأخرى نراها الآن. ونبوءات عن حوادث خاصة أو عامة تقع للأمة الاسلامية أو بينها قريبا من حياة الرسول ﷺ أو بعيدا وهذه هى الأمثلة فتأملها:

١- روى البخارى فى صحيحه عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: صعد النبى ﷺ أحدا ومعه أبو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم فقال: اثبت أحد فإنما عليك نبى وصديق وشهيدان.

وهذه نبوءة فيها أن عمر وعثمان يستشهدان. وقد قتل عمر أبو لؤلؤة، وقتل عثمان فى الفتنة المعروفة.

٢- وفى الصحيحين واللفظ لمسلم عن أبى موسى الأشعرى: «أنه توضأ فى بيته ثم خرج فقال: لألزمن رسول الله ﷺ ولأكونن معه يومى هذا فجاء المسجد فسأل عن النبى ﷺ فقالوا: خرج وجه هاهنا. فخرجت على أثره أسأل عنه حتى دخل بئر «أريس» فجلست عند الباب وبابها من جريد حتى قضى رسول الله ﷺ حاجته وتوضأ فقمت إليه فاذا هو قد جلس على بئر «أريس» وتوسط قفها - حافة البئر - وكشف عن ساقيه ودلاهما فى البئر فسلمت عليه ثم انصرفت فجلست عند الباب

فقلت: لأكونن بواب رسول الله ﷺ اليوم فجاء أبو بكر فدفع الباب فقلت: من هذا؟ فقال: أبو بكر.

فقلت على رسلك، ثم ذهبت فقلت: يا رسول الله.. هذا أبو بكر يستأذن.

فقال: ائذن له وبشره بالجنة. فأقبلت حتى قلت لأبى بكر: ادخل ورسول الله ﷺ يبشرك بالجنة، فدخل أبو بكر فجلس عن يمين رسول الله ﷺ معه فى القف ودلى رجليه فى البئر كما صنع النبى ﷺ وكشف عن ساقيه ثم رجعت فجلست وقد تركت أخى يتوضأ ويلحقنى فقلت: إن يرد الله بفلان خيرا - يريد أخاه - يأت به، فاذا انسان يحرك الباب فقلت: من هذا؟

قال: عمر بن الخطاب.

فقلت: على رسلك.

ثم جئت الى رسول الله ﷺ فسلمت عليه وقلت: هذا عمر يستأذن فقال: ائذن له وبشره بالجنة. فجئت عمر فقلت: أذن ويبشرك رسول الله ﷺ بالجنة فدخل فجلس مع رسول الله ﷺ فى القف عن يساره ودلى رجليه فى البئر ثم رجعت فجلست فقلت: إن يرد الله بفلان خيرا - يعنى أخاه - يأت به، فجاء إنسان فحرك الباب فقلت: من هذا؟ فقال: عثمان بن عفان، فقلت: على رسلك وجئت النبى ﷺ فأخبرته فقال:

ائذن له وبشره بالجنة مع بلوى تصيبه. فجئت فقلت: ادخل ويبشرك رسول الله ﷺ بالجنة مع بلوى تصيبك. وفى رواية أخرى قال: اللهم صبرا. فدخل فوجد القف قد ملئ فجلس وجاههم من الشق الآخر».

فهذه نبوءة فى أن عثمان ستصيبه بلوى وقد كانت هذه البلوى هى ما حدث له فى الفتنة التى أدت الى قتله عليه الرضوان، ومما يرشح هذا المعنى ما رواه ابن عبد البر فى «الاستيعاب» عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ:

«ادعوا لى بعض أصحابى. فقلت: أبو بكر؟ قال: لا. فقلت: عمر؟ قال: لا. فقلت: ابن عمك على؟ قال: لا. فقلت: عثمان؟ قال: نعم. فلما جاء قال لى بيده

فتنحيت فجعل رسول الله ﷺ يساره ولون عثمان يتغير فلما كان يوم الدار وحصر قيل له: ألا تقاتل؟ قال: لا. إن رسول الله عهد إلى عهدا وأنا صابر نفسى عليه».

٣- روى الشيخان عن أنس بن مالك: أن رسول الله ﷺ كان يدخل على أم حرام بنت ملحان - وهى من خالاته فى الرضاع - فتطعمه وكانت أم حرام تحت عبادة ابن الصامت، فدخل عليها رسول الله ﷺ فأطعمته فنام رسول الله ﷺ ثم استيقظ وهو يضحك، قالت: ما يضحكك يا رسول الله؟

قال: ناس من أمتى عرضوا على غزاة فى سبيل الله يركبون ثبج هذا البحر، ملوكا على الأسرة.

قالت: فقلت: يا رسول الله.. ادع الله أن يجعلنى منهم. فدعا لها ثم وضع رأسه فنام ثم استيقظ وهو يضحك.

قالت: ما يضحكك يا رسول الله؟

قال: ناس من أمتى عرضوا على غزاة فى سبيل الله.. كما قال فى المرة الأولى.

قالت: يا رسول الله.. ادع الله أن يجعلنى منهم.

قال: أنت من الأولين.

وقد غزا معاوية بن أبى سفيان قبرص فى سنة ثمان وعشرين هجرية ومعه من كبار الصحابة أبو ذر وأبو الدرداء وعبادة بن الصامت، وكانت مع عبادة زوجه أم حرام بنت ملحان.

٤- أخرج الشيخان أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال يوما: أيكم يحفظ ما قال رسول الله ﷺ فى الفتنة التى تموج كموج البحر؟ فقال حذيفة رضى الله عنه: ليس عليك منها بأس يا أمير المؤمنين، إن بينك وبينها بابا مغلقا. قال: أيفتح أم يكسر؟ قال: يكسر. قال: إذن لا يغلق أبدا. فقيل لحذيفة: من الباب؟ قال: هو عمر. قيل له: أكان عمر يعلمه؟ قال: نعم، كما يعلم دون غد الليلة إنى حدثته حديثا ليس بالأغاليط.

وأخرج الطبرانى عن أبى ذر رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: لا تصيبكم فتنة ما دام هذا فيكم - يعنى عمر.

ويروى معناه عن عثمان بن مظعون وخالد بن الوليد. وكلنا يعلم أن الفتنة بين المسلمين وقعت بعد عمر. أما الردة فلم تكن فتنة بين المسلمين، وإنما كفر بالإسلام حاربه المسلمون وهم يد واحدة.

٥- وأخرج الشيخان عن مسلمة بن الأكوع رضى الله عنه قال: كان على تخلف عن النبى ﷺ فى خيبر وكان رمدا فقال:

أنا أتخلف عن رسول الله ﷺ، فخرج فلحق به فلما كان مساء الليلة التى فتح الله فى صباحها قال رسول الله ﷺ: لأعطين الراية غدا رجلا يحبه الله ورسوله يفتح الله عليه. فإذا نحن بعلى وما نرجوه فقالوا: هذا على. فأعطاه الراية ففتح الله عليه.

ووردت القصة أيضا من حديث ابن عمر وابن عباس ومسعد وأبى هريرة وأبى سعيد الخدرى وعمران بن حصين وجابر وأبى ليلى، أخرجها كلها أبو نعيم.

٦- أخرج البخارى عن أبى بكرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ للحسن: إن ابنى هذا سيد، ولعل الله يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين. فهذه نبوءة عن انقسام وفرقة وصلح بواسطة الحسن، وقد كان الانقسام وجرت الدماء ثم أصلح الله الحال عندما تنازل الحسن لمعاوية عن الخلافة، وحقن دماء المسلمين.

٧- وأخرج الشيخان عن سعد بن أبى وقاص قول رسول الله له وقد مرض بمكة حتى أشرف على الموت: «لعلك تخلف - أى تعيش - حتى ينتفع بك أقوام ويستضر بك آخرون» فشفاه الله وفتح الله العراق على يديه وهدى الله به أناسا أسلموا على يديه وغنموا معه. وأضر الله به ناسا من الكفار جاهدهم وقتل منهم وسبى.

٨ - وأخرج الشيخان عن أبى سعيد ومسلم عن أم سلمة وأبى قتادة أن رسول الله ﷺ قال لعمار: «تقتلك الفئة الباغية». قال الحافظ السيوطى: هذا الحديث متواتر من الصحابة بضعة عشر.

ففى الحديث ثلاث نبوءات أن هناك فئة باغية وأن عمارا سيقتل قتلا، وأن الفئة الباغية قاتلته وقد كان هذا إذ قتلته فئة معاوية ولم يكن بجانبها الحق، وقد دخل كثير من الصحابة المعركة بجانب على بعد مقتل عمار لكون الحديث حجة له فى كونه على الحق.

٩- أخرج البخارى عن عدى بن حاتم قال: بينما أنا عند النبى ﷺ أتاه رجل فشكا إليه الفاقة وأتاه آخر فشكا إليه قطع السبيل . فقال: يا عدى بن حاتم.. ان طالت بك حياة لترين الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحدا إلا الله - قلت فيما بينى وبين نفسى فأين ذعار طئ الذين سعروا البلاد - ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى. قلت: كسرى ابن هرمز؟

قال: كسرى بن هرمز، ولئن طالت بك حياة لترين الرجل يخرج ملء كفيه من ذهب أو فضة يطلب من يقبله منه فلا يجد.

قال عدى: قد رأيت الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالبيت لا تخاف إلا الله وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى، ولئن طالت بكم حياة سترون الثالثة.

قال البيهقى: قد وقعت الثالثة فى زمن عمر بن عبد العزيز ثم أخرج عن عمر بن أسيد عن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب قال: إنما ولى عمر بن عبد العزيز سنتين ونصفا، والله ما مات عمر بن عبد العزيز حتى جعل الرجل يأتينا بالمال العظيم فيقول:

اجعلوا هذا حيث ترون فى الفقراء فما يبرح حتى يرجع بماله نتذكر من يضعه فيهم فلا نجده فيرجع بماله، قد أغنى عمر بن عبد العزيز الناس.

١٠- أخرج الشيخان عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: بينا نحن عند النبى ﷺ وهو يقسم قسما اذ أتى ذو الخويصرة فقال: يا رسول الله.. اعدل. قال: ويلك.. ومن يعدل إذا لم أعدل؟ خبت وخسرت إن لم أكن أعدل. قال عمر: يا رسول الله.. ائذن لى فيه أضرب عنقه. فقال رسول الله ﷺ: فإن له أصحابا يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية آيتهم رجل أسود إحدى عضديه مثل ثدى المرأة - أو مثل البضعة - تدر در يخرجون على خير فرقة من الناس. قال أبو سعيد: فأشهد أنى سمعت هذا من رسول الله ﷺ وأشهد أن على بن أبى طالب قاتلهم وأمر بذلك الرجل فالتمس فوجد فأتى به حتى نظرت إليه على نعت رسول الله ﷺ الذى نعته.

وأخرج مسلم عن عبيدة قال: لما فرغ على من أصحاب النهر قال: ابتغوا فيهم

أن كانوا القوم الذين ذكر رسول الله ﷺ فان فيهم رجلا مخدج اليد فابتغياه فوجدناه فدعوناه اليه فجاء حتى قام عليه فقال: الله أكبر - ثلاثا - والله لو لا أن تبطروا لحدثتكم بما قضى الله على لسان رسول الله ﷺ لمن قتل هؤلاء، قلت: أنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ؟ قال: أى ورب الكعبة - ثلاث مرات.

١١- أخرج مسلم عن أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنها أنها قالت للحجاج: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن فى ثقيف كذابا ومبيرا» فأما الكذاب فقد رأيناه وأما المبير فلا أخالك إلا إياه. وقد روى ابن سعد والبيهقى عن عمر ما يشير إلى الحجاج، وكذلك روى الإمام أحمد والبيهقى عن الحسن ما يشير إليه، وأخرج البيهقى عن على كذلك ما يشير إليه.

١٢- وأخرج الشيخان عن جابر بن سمرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده، والذى نفسى بيده لتنفقن كنوزهما فى سبيل الله.

وأخرجه البخارى عن أبى هريرة.

وأخرج الحارث بن أبى أسامة عن أبى محيريز قال: قال رسول الله ﷺ: فارس نطحة أو نطحتان، ثم لا فارس بعد هذا أبدا، والروم ذوات القرون كلما هلك قرن خلفه قرن.

ومعروف تاريخيا أنه بسقوط دولة الأكاسرة انتهى أمرهم تماما ولم يستردوا ملكهم بتاتا وبقى من يومها الأمر للمسلمين، وبسقوط دولة القياصرة فى القسطنطينية انتهت دولتهم تماما ولم يستردوها مرة ثانية وبقى من يومها الأمر للمسلمين، مع ملاحظة أن الدولة الرومانية طال أمرها حتى سقطت بيد المسلمين سقوطا نهائيا، على عكس الدولة الفارسية وهذا ما أشار إليه الحديث الثانى.

١٣- وأخرج أبو داوود والترمذى عن سفينة قال: قال رسول الله ﷺ: الخلافة بعدى فى أمتى ثلاثون سنة، ثم تصير ملكا عضوضا بعد ذلك. وهكذا وقع خلافة أبى بكر سنتان وثلاثة أشهر وعشرون يوما، وخلافة عمر عشر سنين وستة أشهر وأربعة

أيام، وخلافة عثمان إحدى عشرة سنة وأحد عشر شهرا وثمانية عشر يوما، وخلافة على أربع سنين وعشرة أشهر أو تسعة، وخلافة الحسن ستة أشهر فكانت ثلاثين.

والحديث الذى رواه البزار بسند حسن صحيح يتحدث بشكل واضح عن مراحل الحكم فى الأمة الإسلامية، كما وقعت ونثبت هنا نص الحديث كما ورد فى كتاب «الموافقات» و «الإمامة»:

«أن أول دينكم نبوة ورحمة وتكون فيكم ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها الله جل جلاله، ثم يكون ملكا عاضا فيكون فيكم ما شاء الله أن يكون، ثم يرفعه الله جل جلاله ثم يكون ملكا جبرية فتكون ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها الله جل جلاله ثم تكون خلافة على منهاج النبوة تعمل فى الناس بسنة النبى، ويلقى الاسلام بجرانه فى الارض يرضى عنها ساكن السماء وساكن الأرض لا تدع السماء من قطر الا صبته مدرارا، ولا تدع الأرض من نباتها وبركاتها شيئا الا أخرجته».

وواضح أن الدور الأول والثانى انتهى بزوال الخلافة الراشدة، وأن الدور الثالث استمر حتى زوال الدولة العثمانية، وأن الدور الرابع هو الذى نحن فيه وأن الدور الخامس قادم باذن الله.

١٤- وأخرج مسلم عن أبى ذر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنكم ستفتحون أرضا يذكر فيها القيراط فاستوصوا بأهلها خيرا فإن لهم ذمة ورحما» والمقصود بالرحم أنهم أخوال إبراهيم ابن السيد الرسول ﷺ، إذ المقصود فى ذلك أرض مصر والآثار فى الأخبار عن فتح مصر كثيرة.

١٥- وأخرج البيهقى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: وعدنا رسول الله ﷺ غزو الهند وقد غزوناها.

١٦- روى الستة إلا النسائى عنه عليه الصلاة والسلام:

«لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوما نعالهم الشعر. ولا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوما صغار الأعين حمر الوجوه ذلف الأنوف كأن وجوههم المجان المطرقة» وينطبق الوصف تماما على التتار، أما أصحاب نعال الشعر فقد ذكر البيهقى: أن قوما من الخوارج خرجوا بناحية الرى وكانت نعالهم الشعر وقوتلوا.

١٧- أخرج أبو يعلى عن معاوية بن خديج رضى الله عنه قال: كنت عند معاوية فأتاه كتاب عامله: أنه أوقع بالترك وهزمهم، فغضب معاوية من ذلك ثم كتب له: لا تقاتلهم حتى يأتيك أمرى فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: لتظهرن الترك على العرب حتى تلحقها بمنابت الشيح والقيصوم - وهما نبتان يوجدان فى بلاد العرب وقد حدث أن السلطان خلال أربع مائة عام كان للترك على العرب الا مناطق الصحراء.

١٨- روى البخارى: «لا تقوم الساعة حتى يقتتل فئتان عظيمتان دعواهما واحدة وحتى يبعث دجالون قريب من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله».

وفى حديث ابن الزبير:

«بين يدى الساعة ثلاثون كذابا».

وأخرج أحمد عن حذيفة بسند جيد: «سيكون فى أمتى كذابون دجالون سبعة وعشرين، أربعة نسوة، وإنى خاتم النبيين لا نبى بعدى».

وقد ظهر كثير من هؤلاء الكذابين حتى الآن ولعل أبرزهم فى عصرنا غلام أحمد القادياني الذى ادعى أنه نبى نسخت به شريعة محمد ﷺ ومن هذه السلسلة الخبيثة مسيلمة، والأسود العنسى وسجاح.

١٩- روى البخارى والحاكم فى المستدرك عن أبى هريرة: «لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الابل ببصرى». وروى ابن أبى شيبة وأحمد والحاكم وصححه عن أبى ذر قال: قال رسول الله ﷺ: ليت شعرى متى تخرج نار من جبل وراق تضيء لها أعناق البخت ببصرى كضوء النهار. ويبدو أن الحديث هنا عن بركان عظيم يخرج من أرض الحجاز من مكان عينه الرسول ﷺ.

وقد وقع هذا.

قال النووى: تواتر العلم بخروج هذه النار عن جميع أهل الشام قال السمهودى وكانت فى زمنه: وكان ابتداء الزلزلة بالمدينة مستهل جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين وستمائة. لكنها كانت خفيفة فلم يدركها بعضهم مع تكررها، واشتدت فى يوم الثلاثاء وظهرت ظهورا عظيما ثم فى ليلة الأربعاء ثالث الشهر، فى الثلث

الأخير من الليل حدثت زلزلة عظيمة جدا أشفق الناس منها واستمرت تزلزل يقية اليوم ثم إلى يوم الجمعة ولها دوى أعظم من الرعد فتموج الأرض وتتحرك الجدران حتى وقع فى يوم واحد دون ليلته ثمانى عشرة حركة.

وكانت هذه كلها مقدمات لظهور هذه النار وقد وصف القسطلانى فى كتاب أفرده لهذه الحادثة هذه النار فقال:

«إن ضوءها استولى على ما بطن وما ظهر حتى كأن الحرم والمدينة قد أشرقت بهما الشمس وتأثر من لهيبها النيران، وصار نور الشمس على الأرض يعتريه صفرة، ولونها هى يعتريه حمرة والقمر كأنه كسف».

وقال القسطلانى كذلك: «إنها لم تزل مارة على سبيلها وهى تسحق ما والاها وتذيب ما لاقاها من الشجر الأخضر والحصى، وإن طرفها الشرقى آخذ بين الجبال فحالت دونها ثم وقفت، وإن طرفها الشامى وهو الذى يلى الحرم اتصل بجبل يقابله يقال له: وعيرة على قرب من شرقى جبل أحد».

وقد ذكر هذه النار السمهودى فى تاريخ المدينة، وذكرها القاضى سنان والقاشانى والعماد بن كثير والمطرى وغيرهم..

٢٠- وفى الحديث الصحيح الذى رواه البخارى ومسلم: «وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون فى البنيان».

٢١- روى مسلم عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «صنفان من أمتى من أهل النار لم أرهما بعد. قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون الناس، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤوسهن كأسنمة البخت. وكذا...».

وروى الامام أحمد والحاكم عن ابن عمر:

«يكون فى آخر هذه الأمة رجال يركبون على المياثر حتى يأتوا أبواب المساجد. نساؤهم كاسيات عاريات على رؤوسهن كأسنمة البخت العجاف. العنوهن فانهن ملعونات، لو كانت وراءكم أمة من الأمم لخدمهم كما خدمتكم نساء الأمم قبلكم».

ولعل أدق وصف لما عليه وضع النساء فى زماننا من تبرج وعرى ونتن وميوعة وفتنة، هو ما وصفهن به الحديث الشريف، وهذا لا شك معجزة واضحة، اذ ما كان

أحد يستطيع أن يتصور أن تصبح المرأة المسلمة فى مثل هذه الحالة التى عليها الآن، حتى أنك لو كنت فى بداية هذا القرن الرابع عشر الهجرى لما استطعت أن تتصور بشكل من الأشكال هذا الوضع الحاضر لامرأة أصلها مسلمة.

٢٢- أخرج أبو داوود والبيهقى عن ثوبان رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة الى قصعتها - فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: بل أنتم كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن فى قلوبكم الوهن. قيل: وما الوهن يا رسول الله؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت. والمراقب لوضع المسلمين منذ ظهور ما يسمى بالمسألة الشرقية حتى الآن يجد هذه الظاهرة ظاهرة طمح الأمم بالعالم الإسلامى والكيد له والتخطيط لامتصاص خيراته واضحة جدا مع ما وصف به رسول الله المسلمين.

٢٣- أخرج الشيخان عن أبى هريرة قال: قال النبى ﷺ: «على أنقاب المدينة ملائكة لا يدخلها الطاعون ولا الدجال» وقد مر على الأمة الإسلامية مئات السنين واجتاح الطاعون كثيرا من بلاد الإسلام فى كثير من الأعصار. والمدينة المنورة يأتيها فى كل سنة مسلمون من كل الأمصار وما حدث ولن يحدث باذن الله أن رؤيت مرة ظاهرة انتشار الطاعون فى المدينة، وهذا شئ معروف مأثور متعارف عليه عند علماء الإسلام.

٢٤- وهذه جملة أحاديث تراها فى عصرنا هذا واقعا يتحرك أمامك:

«أن بين يدى الساعة فشو التجارة حتى تعين المرأة زوجها على التجارة وقطع الأرحام وفشو الظلم وظهور الشهادة بالزور وكتمان شهادة الحق».

«يأتى على الناس زمان لا يتبع فيه العليم ولا يستحيا فيه من الحليم، ولا يوقر فيه الكبير ولا يرحم فيه الصغير يقتل بعضهم بعضا على الدنيا، قلوبهم قلوب الأعاجم وألسنتهم ألسنة العرب لا يعرفون معروفا ولا ينكرون منكرا يمسى الصالح فيه مستخفيا أولئك شرار خلق الله لا ينظر الله إليهم يوم القيامة».

«لا تقوم الساعة حتى يجعل كتاب الله عارا ويكون الاسلام غريبا، وحتى تبدو الشحناء بين الناس، وحتى يقبض العلم ويهرم الزمان وينقص عمر البشر وينقص

السنون والثمرات ويؤتمن التهماء، ويتهم الأمناء، ويصدق الكاذب ويكذب الصادق، ويكثر الهرج – وهو القتل – وحتى تبنى الغرف – أى القصور – فتطاول وحتى تحزن ذوات الأولاد – أى لعقوق أولادهن – وتفرح العواقر ويظهر البغى والحسد والشح ويهلك الناس ويكثر الكذب ويقل الصدق وحتى تختلف الأمور بين الناس ويتبع الهوى، ويقضى بالظن ويكثر المطر ويقل الثمر ويغيض العلم – أى علم حقيقة الاسلام – غيضا، ويفيض الجهل فيضا، ويكون الولد غيظا والشتاء قيظا، ويقوم الخطباء بالكذب فيجعلون حقى لشرار أمتى، فمن صدقهم بذلك ورضى به لم يرح رائحة الجنة».

وأخيرا نقول:

إن هذا الباب قد ألفت فيه كتب كثيرة ونقل فيه الكثير الكثير، وهو قليل بالنسبة لما ذكره الرسول ﷺ للصحابة عن المستقبل، فقد روى البخارى ومسلم عن حذيفة قال: «قام فينا رسول الله ﷺ مقاما فما ترك شيئا يكون من مقامه ذلك الى قيام الساعة إلا حدثه، حفظه من حفظه ونسيه من نسيه، وقد علمه أصحابى هؤلاء وإنه ليكون منه الشئ قد نسيته فأراه فأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه ثم إذا رآه عرفه».

وروى مسلم عن عمرو بن أخطب الأنصارى قال: «صلى بنا رسول الله ﷺ الفجر وصعد المنبر فخطبنا حتى حضرت الظهر، فنزل فصلى ثم صعد المنبر فخطبنا حتى حضرت العصر، فنزل فصلى ثم صعد المنبر فخطبنا حتى غربت الشمس، فأخبرنا بما هو كائن الى يوم القيامة فأعلمنا أحفظنا».

إنها النبوة ولا شئ غير ذلك ﴿فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩]..

﴿فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ [يونس: ١٠٨].

النبوة التى دلتنا بما أخبرتنا عنه من غيوب أن لصاحبها صلة كاملة بالله، ولو لا

ذلك ما ظهر فى كلام صاحبها آثار علم الله المحيط فى الماضى والحاضر، وكأنما المستقبل أمامه مكشوف يكشف الله له.

وهذه آثار أخرى عن رسول الله ﷺ لا تحتاج الى شرح لوضوح انطباقها على وضع أمتنا فى هذا العصر، فكأنما قيلت فيه عنه وهى مسطورة فى كتب الأخبار عنه عليه السلام من مئات السنين نقلناها من كتاب «مطابقة الاختراعات العصرية للأحاديث النبوية»، وقد نسب صاحبه كل حديث الى مصدره ومرجعه من كتب الحديث:

١- «لا تقوم الساعة حتى تروا أمورا عظاما لم تكونوا ترونها ولا تحدثون بها أنفسكم».

٢- «ولن يكون ذلك - أى من قضية الدجال - حتى تروا أمورا يتفاقم شأنها فى نفوسكم وتساءلون بينكم هل كان نبيكم ذكر لكم منها ذكرا».

٣- «لا تقوم الساعة حتى يخرج الناس من المدينة الى الشام يبتغون فيها الصحة».

والشام تشمل فلسطين ولبنان والأردن وسوريا، وانظر حال مصايف هذه البلاد تجد كيف أنها مملوءة بالحجازيين وغيرهم ممن يأتون للراحة فقط مما لم يكن موجودا من قبل.

٤- «لا تقوم الساعة حتى تمطر السماء مطرا لا تكن منها بيوت المدر ولا تكن منها إلا بيوت الشعر». ولعل صورة الطائرات فى الحرب العالمية الثانية وهى تمطر المدن بوابل القنابل فتزعزع كل بناء، تذكرنا بجزء مما ينطبق الحديث عليه، إذ تأثير هذه القنابل على بيوت المدر أكثر من تأثيرها على بيوت الشعر.

٥- أن الله تعالى قال فى الحديث القدسى:

«أبث العلم فى آخر الزمان حتى يعلمه الرجل والمرأة والعبد والحر والصغير والكبير فإذا فعلت ذلك بهم أخذتهم بحقى عليهم».

ومن رأى تسهيل العلم فى زماننا وكثرة أدواته ومعاهده من مدارس وإذاعة وجرائد ومجلات و... رأى مصداق الحديث.

٦- ومن حديث على وله حكم المرفوع:

«ويحا للطالقان . . فإن لله فيه كنوزا ليست من ذهب ولا فضة» والطالقان من قزوين وتلك ناحية وجود البترول.

٧- «تخرج معادن مختلفة معدن منها قريب من الحجاز يأتيه من أشرار الناس».

ونحن نعلم أن معدن البلاد القريبة من الحجاز فى عصرنا إنما يستخرجه الأجانب بوسائلهم الكثيرة وفى الحديث الآخر: «ستكون معادن يحضرها شرار الناس» ولاحظ كلمة يحضرها المشددة الضاد.

٨- «ليأتين على الناس زمان لا يبقى منهم أحد إلا أكل الربا فمن لم يأكله أصابه من غباره».

ومن راى فى زماننا قيام الحياة الاقتصادية كلها على المصارف والبنوك رأى الواقع الذى أخبر عنه الحديث.

٩- «ما أنتم إذا مرج الدين وسفك الدماء وظهرت الزينة وشرف البنيان».

وفى زماننا حدث هذا كله: اختلط الدين وكثر القتل وظهرت الزينة وكثر البنيان وشرف وتطاول كما فى حديث آخر «وحتى يطاول الناس فى البنيان».

١٠- «لا تقوم الساعة حتى يكون القرآن عارا ويتقارب الزمان». وقد أصبح القرآن الآن رجعيا وأصحابه يعيرون بالرجعية وتقارب الزمان حتى قطعت المسافة الطويلة بالزمن القصير.

١١- «كيف بكم أيها الناس اذا طغى نساؤكم وفسق شبابكم؟ قالوا: يا رسول الله. . إن هذا لكائن. قال: نعم». وقد حدث هذا كما يشاهد واقعا.

١٢- «اذا كثر قراؤكم وقلت علماؤكم وكثرت أمراؤكم وقلت أمناؤكم والتمست الدنيا بعمل الآخرة وتفقه لغير الله».

وقد كثر القراء وقل العلماء وكثر الأمراء حتى فى كل قطر أمير وأصبحت الدنيا هدفا ولم تعد معاهد العلم تخرج طلابا لله.

١٣- «إن بين يدى الساعة سنين خداعة يصدق فيها الكاذب ويكذب فيها الصادق ويؤتمن فيها الخائن ويخون فيها الأمين ويتكلم فيها الرويبضة. قيل: وما الرويبضة؟ قال: الفاسق يتكلم فى أمر العامة».

«سيأتى على الناس سنوات خداعات يصدق فيها الكاذب ويكذب فيها الصادق ويؤتمن فيها الخائن ويخون فيها الأمين وينطلق فيها الرويبضة. قيل: وما الرويبضة؟ قال: الرجل التافه ينطق فى أمر العامة».

«والذى نفسى بيده لا تقوم الساعة حتى يظهر الفحش والبخل ويخون الأمين ويؤتمن الخائن وتهلك الوعول وتظهر التحوت. قالوا: يا رسول الله.. وما الوعول وما التحوت؟ قال: الوعول: وجوه الناس وأشرافهم، والتحوت: الذين كانوا تحت أقدام الناس لا يعلم بهم».

«وكان زعيم القوم أرذلهم».

ومن رأى واقع السنين التى نعيش بها علم مصداق هذه الآثار اذ تسلط على الناس فى كل مكان أكثر الناس وضاعة وانحطاطا وتفاهة، وضاع أصحاب الحلوم والعقول.

١٤- «سيكون بعدى سلاطين، الفتن على أبوابهم كمبارك الابل لا يعطون أحدا إلا أخذوا من دينه مثله» ولعل كلمة: «كمبارك الابل» أبلغ وصف مفهوم يومئذ للسيارات.

١٥- «يوشك أن يؤمر عليهم الرويجل فيجتمع اليه قوم محلقة أقفيتهم بيض قمصهم فإذا أمرهم بشئ حضروا».

فانظر هذا الوصف الدقيق لنوع الحلاقة والقمصان التى يلبسها بعض الموظفين ممن لم يكن نوعيتها معروفة قديما.

١٦- «والمشى بالأسواق والأفخاذ بادية». وهذا ينطبق على ما يسمى فى زماننا بالفرق الرياضية والكشفية ويرى خاصة أثناء الاستعراضات.

١٧- «قص اللحية» وقد أصبح الآن السائد واللحية مستغربة.

١٨- «لتسلكن سنن من قبلكم حذو النعل بالنعل، ولتأخذن بمثل أخذهم إن شبرا فشبر وإن ذراعا فذراع، وإن باعا فباع، حتى لو دخلوا جحر ضب دخلتم فيه». ومن رأى كثرة تقليدنا للغربيين فى أى مسلك سلكوه شاهد يقينا وقوع الحديث.

١٩- ومما رواه معاذ فى أشراط الساعة:

«ان الدم يسفك بغير حقه، والمال يعطى على الكذب». وترى المال يعطى على الكذب فى صورة إعطائه لرجال المباحث السياسية على تقارير، قسم كبير منها كاذب، ولكتاب روايات مختلقة، وإعداد برامج إذاعية مختلقة كاذبة وأشياء كثيرة من هذا القبيل.

٢٠- «ويح لهذه الأمة.. ماذا يلقى فيها من أطاع الله كيف يكذبونه ويضربونه أنه أطاع الله من أجل أنهم ما أطاعوا الله - قال عمر بن الخطاب: يا رسول الله.. الناس يومئذ على الاسلام؟

قال: نعم يا عمر.

قال عمر: يا رسول الله.. الناس يومئذ عل الاسلام؟

قال: نعم يا عمر.

قال عمر: يا رسول الله.. ولم يبغضون من أمرهم بطاعة الله؟

قال: ترك القوم الطريق وتزين الرجل منهم بزينة المرأة لزوجها وتبرج النساء.. زيهم زى الملوك الجبابرة يسمنون كالنساء فاذا تكلم أولياء الله وأمروهم بطاعة الله قيل له: أنت قرين الشيطان ورأس الضلالة تكذب بالكتب، تحرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق، تأولوا كتاب الله على غير تأويله واستذلوا أولياء الله».

ومن عرف وضع الأمة الاسلامية اليوم رأى كيف أن الدعاة الى الله وشريعته يضطهدون فى كل مكان من قبل الحكام الظالمين.

٢١- «ستكون فتنة يفارق الرجل فيها أخاه وأباه، تطير الفتنة فى قلوب الرجال منهم الى يوم القيامة حتى يعير الرجل فيها بصلاته كما تعير الزانية بزناها».

وما رؤيت هذه الفتنة فى العالم الإسلامى إلا هذا العصر الذى فيه يلام الرجل

على صلاته ويوبخ، ويعير مع كثرة دعوات السوء المنتنة ودخول أصحابها فيها واستمرارهم عليها مع بطلانها.

٢٢- «يأتى على الناس زمان يخير الرجل فيه بين العجز والفجور فمن أدرك ذلك الزمان فليختر العجز على الفجور».

٢٣- «سيخرج قوم فى آخر الزمان هم دجالون كذابون ببدع من الحديث لم تسمعوا به أنتم ولا آباؤكم فاياكم وإياهم لا يفتنونكم».

٢٤- «إذا كنت فى قوم عشرين رجلا أو أقل أو أكثر فتصفحت وجوههم فلم تر فيهم رجلا يهاب الله عز وجل فاعلم أن الأمر قد حضر».

٢٥- «لا تقوم الساعة حتى يفيض المال فيضا، ويغيض الكرام غيضا، ويجترئ الصغير على الكبير واللئيم على الكريم».

٢٦- «سيأتى على الناس زمان تمات فيه الصلوات، ويشرف فيه البنيان ويكثر فيه الحلف والتلاعن ويفشو فيه الرشا والزنا وتباع الآخرة بالدنيا. فإذا رأيت ذلك فالنجا والنجا. قيل: وكيف النجا؟ قال: كن حلسا من أحلاس بيتك وكف لسانك ويدك».

٢٧- «ليأتين على الناس زمان يؤمنون بالله ولا يشركون به شيئا ويصومون رمضان ويصلون الخمس وقد سلبوا دينهم لأنهم رأوا الحق فتركوه».

٢٨- «إنى لأعلم أهل دينين من أمة محمد - ﷺ - فى النار: قوم يقولون إن كان أولنا ضلالا ما بال خمس صلوات فى اليوم والليلة إنما هما صلاتان: العصر والفجر».

والذى يعرف شيئا عن طائفة الاسماعيليين يدرك صدق الحديث فإنهم يؤمنون أن عليهم صلاتين فقط صباحا ومساء.

٢٩- «سيظهر شرار أمتى على خيارهم حتى يستخفى فيهم المؤمن كما يستخفى فيكم المنافق اليوم».

٣٠- «ليكونن فى أمتى أقوام يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف» وهذا واقع الآن بشكل واضح.

٣١- «إنه سيخرج فى أمتى أقوام تتجارى بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه لا يبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله».

٣٢- «لا يخرج الدجال حتى يذهل الناس عن ذكره وحتى تترك الأئمة ذكره على المنابر».

٣٣- «لتنقضن عرى الإسلام عروة عروة. فكلما انتقضت عروة تشبث الناس بالتى تليها، وأولهن نقضا الحكم وآخرهن الصلاة».

٣٤- «يأتى على الناس زمان يصبح الرجل بصيرا ويمسى ما يبصر شعرة» - أى يضل الحق.

٣٥- «إن الناس دخلوا فى دين الله أفواجا وسيخرجون منه أفواجا».

٣٦- «إن بين يدى الساعة فتنا كقطع الليل المظلم فتن كقطع الدخان يموت فيها قلب الرجل كما يموت بدنه، يصبح الرجل مؤمنا ويمسى كافرا ويمسى مؤمنا ويصبح كافرا، يبيع أقوام أخلاقهم ودينهم بعرض من الدنيا».

٣٧- «ليت شعرى كيف أمتى بعدى حين تتبختر رجالهم وتمرح نساؤهم، ليت شعرى كيف هم حين يصيرون صفين: صفا ناصبى نحورهم فى سبيل الله، وصفا عمالا لغير الله».

٣٨- «إذا ظهر فيكم السكرتان: سكرة الجهل وسكرة حب العيش وجاهدوا فى غير سبيل الله فالقائمون يومئذ بكتاب الله سرا وعلانية كالسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار».

٣٩- «ذلك أيام الهرج حين لا يأمن الرجل جليسه».

٤٠- قال أبيض - رجل من اصحاب رسول الله ﷺ: «والذى نفسى بيده لا تقوم الساعة حتى لا تبقى ملة إلا ولها منكم نصيب. قلت: يبادرون يخرجون من الإسلام؟

قال: يصلون بصلاتكم ويجلسون مجالسكم وهم معكم فى سوادكم، ولكل ملة منهم نصيب. قلت: - أى الوليد راوى الحديث - أى والله لكل ملة منهم نصيب إلا الإسلام فلا نصيب له منهم إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ماهم».

٤١- «من اقتراب الساعة أن ترفع الأشرار وتوضع الأخيار ويفتح القول ويخزن العمل».

٤٢- «من اقتراب الساعة تشبه الرجال بالنساء والنساء بالرجال».

وأنت إذا تأملت هذه الآثار فإنك لا تجد فيها حديثا إلا وتراه أمامك واقعا على الأرض الآن، مما لم يكن موجودا من قبل. حتى أن رائى العين لا يصف بأبلغ من هذا، وإنما كان هذا، لأنه أثر علم الله المحيط الذى اطلع على بعضه محمدا ﷺ فقال ما قال ووقع كل ما قال. وفى ذلك الشهادة الكاملة على أن محمدا ﷺ رسول الله حقا وصدقا لا يمترى فى ذلك الا متكبر أو حاسد أو شيطان يرى الحق ولا يتبعه.

إن النبوءات التى اخترناها كلها نبوءات قد وقعت للرسول عليه السلام. ونبوءات أخرى لم يحن وقتها بعد، ومن العجيب أن بعضها مذكور فى الكتب الدينية السابقة على رسولنا عليه السلام. وهذا يؤكد أن مصدر هذه النبوءات السابقة الوحى وأنها من القسم الذى لم يحرف فى الكتب الأولى، وكل تعليل آخر ظاهر الفساد، فلم تكن مثل هذه القضايا منتشرة ولا معروفة فى الجزيرة العربية.

والرسول عليه السلام أمى لا يحسن القراءة، ولم تكن هذه الكتب أصلا مترجمة إلى العربية فى ذلك الزمان، عدا عن كون النسخ محدودة جدا لا توجد الا عند رؤساء الدين اليهودى بالنسبة لنسخ التوراة. غير أن بعض هذه النبوءات موجودة فى كتب العهد الجديد التى لا يؤمن بها اليهود أصلا. وليست موجودة عندهم ولم تكن هناك أى صلة بين النصارى ورسول الله ﷺ عدا عن كون الفكر النصرانى لم يكن له أى صدى فى مكة والمدينة. عدا ما ذكر أن ورقة بن نوفل كان له مثل هذا الاتجاه.

إلا أن اتصال الرسول بورقة كان محدودا ومعروفا ما جرى فيه. وورقة آمن برسالة محمد من اللحظة الأولى، فليس هناك من تعليل لوجود هذه النبوءات المشتركة إلا وحدة المصدر وهو الوحى.

أبرز هذه النبوءات المشتركة ثلاث:

١- الإخبار عن يأجوج ومأجوج.

٢- الإخبار عن المسيح الدجال.

٣- الإخبار عن نزول عيسى ابن مريم فى آخر الزمان وأنه يقتل الدجال.

فقد أخبر الرسول عليه السلام عن مجئ ناس ذوى عدد هائل سموا باسم يأجوج ومأجوج الى منطقة فى فلسطين قبيل قيام الساعة، وأخبر عليه السلام بأحاديث متواترة عن ظهور إنسان سماه المسيح الدجال يدعى الألوهية وهو أكبر ما فتن به البشر، وأن المسيح عليه السلام يقتله بعد نزوله.

وقد ذكر فى كتاب المشاهدات الباب ١٩ وفى الباب الثانى من الرسالة الثانية الى أهل تسالونيق وهما كتابان نصرانيان:

«أن عيسى - عليه السلام - سيقتل الدجال وعسكره بعد نزوله».

وقد نقل عن حزقيال عليه السلام فى كتب العهد القديم أنه أخبر عن خروج يأجوج ومأجوج فى الزمن المستقبل وإهلاكهم حين وصولهم إلى جبال إسرائيل ثم عقب على ذلك فى الكتاب المنسوب إليه فى الباب التاسع والثلاثين الفقرة الثامنة:

«ها هو جاء وصار يقول الرب الإله هذا هو اليوم الذى قلت عنه» إشارة إلى يوم القيامة.

إن هذا كله يؤكد لنا رسالة محمد بن عبد الله ويجعلنا على اليقين الذى لا شك معه، أن ما قاله عليه السلام هو الحق الذى لا يمترى فيه.

ملاحظة: قصة يأجوج ومأجوج واردة كذلك فى القرآن، ولكن التفصيلات التى ذكرناها عن الرسول ﷺ آنفا توضح وتبين الآيات القرآنية، ومن عجيب الأخبار ما ذكره لنا الأستاذ محمد الصواف عن رجل سعودى سماه لنا كان فى الصين وأخبره هذا الرجل وهو معروف فى الحجاز: أنه عندماكان فى الصين أخبره الصينيون أن عندهم قبيلتين معروفتين تسميان مأجوج ويأجوج وتسميان بهذا الاسم الآن وهما مشهورتان به.

* * *